الرؤية النقدية للنصارى من منظور إبن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير

المشرف: الدكتور محمود كريمي
جامعة الصادق/ طهران
karimiimahmoud@gmail.com

الباحث: رحمن حسن خضير
مرشح للدكتوراه ، قسم علوم القرآن والحديث ،
كلية الأديان والمذاهب ، قم إيران
hhmd01568@gmail.com

الكلمات المفتاحية: النصارى ، إبن عاشور ، التحرير والتنوير ، المناهج.

كيفية اقتباس البحث

كريمي ، محمود، رحمن حسن خضير ، الرؤية النقدية للنصارى من منظور إبن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير ، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٥،المجلد:١٥ ،العدد:٣ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Critical view of Christians from the perspective of Ibn Ashur through his interpretation of Al-Tahrir wal-Tanwir

Supervisor
Dr. Mahmoud Karimi Sadeghi
University, Tehran

Researcher
Rahman Hassan Khadir
PhD Candidate, Department of Quranic and Hadith Sciences, Faculty of Religions and Sects, Qom, Iran

Keywords : Christians, Ibn Ashur, Liberation and Enlightenment, Curricula.

How To Cite This Article
Sadeghi, Mahmoud Karimi, Rahman Hassan Khadir, Critical view of Christians from the perspective of Ibn Ashur through his interpretation of Al-Tahrir wal-Tanwir, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, April 2025,Volume:15,Issue 3.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This research deals with the systematic vision of criticism of the followers of Christianity in the eyes of Sheikh Muhammad Taher bin Ashour through his interpretation of liberation and enlightenment, has found that Sheikh Ibn Ashour has used several approaches in his criticism of Christianity such as the mental approach and the comparative approach and the critical approach has reviewed the beliefs of Christianity starting from the divinity Jesus (peace be upon him) and the Trinity and other beliefs and mentioned the response of Ibn Ashour in the interpretation of the verses that were criticized criticism and analysis by comparing those texts in the New Testament and the corresponding in The texts of the Qur'anic revelation have reviewed in the research the biography of Ibn Ashour and his scientific biography and reform and his scientific and reformist approach and scientific approach and his approach to criticism of religions and then concluded with the most important results of this brief study.

My reading of the research material and my tracing of the Quranic texts related to Christianity in the Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir showed me that this book is an important encyclopedic book in the field of interpretation due to the diversity and accuracy of its topics. It is truly a major encyclopedia for what it contains of sciences and knowledge that benefit those who seek knowledge and learning for beginners and those who have completed the stages of study. Also, the personality of its author, Muhammad al-Tahir ibn Ashur, is a unique personality in his time and country; for he is characterized by seriousness, perseverance, creativity and dedication to serving the Sharia, reforming the educational process, and political and jihadist work; to liberate his country from the clutches of usurping colonialism. We also find the same author in his interpretation from beginning to end with one spirit and one style without slackening even in the verses that were repeated and his interpretation of them had been previously mentioned.

الملخص بالعربي

يتناول هذا البحث الرؤية المنهجية لنقد اتباع النصرانية في نظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، وقد وجدت ان الشيخ ابن عاشور قد استعمل عدة مناهج في نقده المسيحية كالمنهج العقلي والمنهج المقارن والمنهج النقدي وقد استعرضت عقائد النصرانية ابتداء من الوهية عيسى (عليه السلام) والتثليث وغيرها من الاعتقادات وذكرت رد ابن عاشور في تفسير الآيات التي تعرضت لنقدهم بالنقد والتحليل بمقارنة تلك النصوص في العهد الجديد وما يقابلها في نصوص الوحي القرآني وقد استعرضنا في البحث سيرة ابن عاشور الذاتية وسيرته العلمية والاصلاحية ومنهجه العلمي و الاصلاحي ومنهجه العلمي ومنهجه في نقد الاديان ثم ختمتها بأهم نتائج هذه الدراسة المختصرة.

إنّ إستقرائي لمادة البحث، وتتبعي لنصوص القرآن الخاصة بالنصرانية في تفسير التحرير والتنوير تبين لي أنّ هذا السفر كتابٌ موسوعيٌ مهمٌ في مجال التفسير لتنوع موضوعاته ودقتها، وحقاً يُعد دائرة معارف كبرى لما حواه من علوم ومعارف يستفيد منها من رام العلم والتعلم للمبتدأ، ومن طوى مراحل الدراسة. كما أن شخصية مؤلفه محمد الطاهر بن عاشور شخصية فريدة في زمانه وبلاده؛ لما يتصف به من الجد والمثابرة والابداع والتفاني في خدمة الشريعة، ولإصلاح العملية التعليمية، والعمل السياسي والجهادي؛ لتحرير بلاده من براثن الاستعمار الغاصب. كما نجد نفس المؤلف في تفسيره من أوله الى ختامه على همة ونسق واحد من غير فتور حتى في الآيات التي تكررت وقد سبق تفسيره لها.

مقدمة

شهد عصر إبن عاشور، إهتماماً كبيراً في ميدان العناية بالتفسير، وضرورة العودة بوعي وإخلاص إلى كتاب الله(**جل جلاله**)؛ لإنقاذ المسلمين من حالة التخلف والهوان، وإنتشالهم من الضياع بتسلط الأجنبي المحتل، وتفانى العلماء لذلك، ببذل الوسع لإحياء التوجه الديني من خلال محاولة علاج أسباب الانحراف الاجتماعي والاخلاقي، وتنزيه الحقائق الاعتقادية، والمفاهيم الدينية من التحريف والتشويه والجمود على القشور، ومسايرة التطور العلمي المهول، ومواكبة العصر بما لا يخل بالثوابت الدينية وقواعد الفقه. كما سعى الأجنبي والمحتل بأشغال المسلمين بمشاكلهم العقائدية والمذهبية، والمسلمون في غفلة عن الواقع الاجتماعي والسياسي الذي كان عليه المسلمون، قياساً للواقع الذي وصلت اليه البلدان الأخرى، وقد ظهر في البلاد الاسلامية، تيارات فكرية فاسدة، وعقائد هدامة منحرفة، كالبابية والبهائية والقاديانية والوهابية وغيرها، والتي إبتعدت كثيراً عن فهم النص القراني، وحرفت مراد الله (**سبحانه وتعالى**)، لذا شعر العلماء الحاجة الماسة؛ لإظهار حقائق الاسلام، وتوضيح مفاهيمه في كثير من المستويات من خلال النظر بجدية؛ لقراءة النص الديني بروح عصرية جديدة بحيث لا تتعارض مع قواعد التفسير وإصوله. كما أنّ لتوسع الفكر الإسلامي، والتطورات الجديدة في تخصصات العلوم المختلفة؛ ظهر تبعاً لها إتجاهات جديد في علم التفسير كالاتجاه الاجتماعي.

وكان من ضمن منهج ابن عاشور الإصلاحي؛ لأصلاح التعليم في الزيتونة؛ إدراكه حاجة طلبة الزيتونة إلى كتابة تفسير، يمتاز عن التفاسير المتعارفة بفهم جديد وإسلوب معاصر. حيث كان يرى أنّ تأخر علم التفسير له تأثير مباشر في تأخر العلوم الإسلامية المتنوعة.

ويرى ضرورة إعادة علم التفسير، بنظرة عصرية، ورؤية جديدة في أطر المناهج والاتجاهات العامة في حركة التفسير في عصره، والخروج عن الاختصار على تطبيق القواعد الالية، والانحصار على الظاهر من المعاني الاصلية للمفردات والتراكيب، كما إهتم بتطبيق المسائل العلمية في العلوم التجريبية، وغيرها التي لها دخالة بمقصد الآية.

١- : السيرة الشخصية والعلمية

١-١: نسب إبن عاشور ومولده

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور الأندلسي الاصل، التونسي المولد والنشأة (الزركلي ٢٠٠٢م، جزء صفحة٢٦٧) وقد أشتهر باسم الطاهر بن عاشور، ولد المترجم سنة (١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م) بتونس في ضاحية المرسي وهي ضاحية جميلة لها تاريخ قديم بقصر جده لأمه الوزير محمد العزيز بن عتور (هيا

العلي ١٩٩٤م، صفحة ١٩) إستقرت الاسرة آل عاشور في تونس هرباً من حملات التنصير التي تعرض لها المسلمون في الاندلس.

١-٢: نشأته ألاجتماعية والعلمية

نشأ في بيت عربي، مستمداً من بيئته ألإسرية مكارم الاخلاق، وقد أقبل على حفظ القرآن، وتعلم اللغة الفرنسية (الزركلي٢٠٠٢م، جزء٦ صفحة ٢٦٧)، وتعلم اللغة العربية وبعض الفنون في بيت والده، الذي كان اديباً، وظهر عليه علامات النبوغ وسرعة الحفظ، وهمة عالية تزداد يوماً بعد يوم (إبن خوجة ١٩٧٤م، صفحة١١) وطموح لبلوغ المراتب السامية والمقامات المهمة (ابن خوجة ١٩٩٤م، صفحة١١). ثمّ تهيء للدخول إلى جامع الزيتونة في عام ١٣١٠هـ (سعيد١٩٨٦م، صفحة٥) وبإنتسابه الى هذا الصرح العلمي، توافرت لديه أسباب العلم والمعرفة. فقد عاش الشيخ بن عاشور سبعاً وتسعين عاماً، قضى نصفها في ميدان التعليم، فبعد نبوغه في العلوم الإسلامية المتنوعة، حصل في عام ١٨٩٩م على شهادة التطويع (الفاضل ابن عاشور١٩٧٢م، صفحة٣٥٠) والتي سمحت له بمزاولة التعليم بصفة مدرس من الطبقة الثانية في الجامع الزيتوني، وفي عام ١٩٠٣م، سمّي مدرساً من الطبقة الأولى في الجامع ذاته، ودرّس في المدرسة الصادقية، إضافة الى تدريسه في الزيتونة.

١-٣: أساتذته وتلامذته

كان للشيخ إبن عاشور أساتذة من أبرز علماء جامعة الزيتونة، أمثال محمد النجار وعمر بن الشيخ، وسالم بو حاجب، ومحمد النخلي، وصالح الشريف وغيرهم، ولهمته العالية وتقدمه على زملائه ونبوغه النادر، أدخلاه في قلوب مشيخة الزيتونة، فدرس ونبغ، فأظهر وتفوق عالي في التحصيل العلمي، وأما التلمذة عنده، فكان أبرز تلاميذه ولده محمد الفاضل بن عاشور الذي ترك اعمال اجتماعية وعلمية في بلدان كثيرة، ومؤلفات قيمة تدل على نشاطه الواسع (مخلوف د:ت، صفحة١٦٧)، ومنهم الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري (ت ١٩٤٠م) الذي ارتحل الى جامع الزيتونة سنة ١٩٠٨م.

١-٤: وفاته

بعد عمر مديد قرابة قرن، لبى نداء ربه فأنتقل الى مثواه الأخير في (١٣ رجب ١٣٩٣هـ ١-١٢-٨- ١٩٧٣م) في تونس ودفن فيها (شوقي د:ت، جزء٨ صفحة٢٧٨).

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2025 Volume :15 Issue : 3
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

١-٥: تراثه العلمي

مقامه العلمي: ترك المترجم تراثاً ضخماً من المؤلفات، في شتى الموضوعات الإسلامية، والعوم الدينية ورسائل وبحوث، وكتب أدبية متنوعة (محمد الخامس١٩٨٣م، صفحة٣٨) . فمن مؤلفاته في العلوم الإسلامية.

(مقاصد الشريعة الإسلامية – أصول النظام الاجتماعي في الإسلام – نقد علمي للكتاب الإسلامي واصول الحكم لعلي عبد الرزاق – الوقف وآثاره في الإسلام – أليس الصبح بقريب، وغيرها من

المؤلفات الكثيرة في فنون شتى تنبأ عن حجم التراث العلمي الذي رفد به المكتبة الاسلامية، كما يدل ذلك على عمق إستفادته من شيوخه، ومدى سعت إطلاعه على المصادر والعلوم.وله دور بارز ومساهمة فاعلة في مجال اللغة العربية وآدابها، وقد عمل على تفعيل دور اللغة العربية ونشرها،واما في مجال آداب اللغة العربية ونقدها، له عدة مؤلفات منها (إبن عاشور١٩٧٤م، صفحة٨٢): (تحقيق ديوان النابغة الذبياني – تحقيق ديوان النابغة الذبياني – تحقيق كتاب سرقات شعر المتنبي ومشكل معانيه – تحقيق مقدمة المرزوقي في شرح ديوان ابي تمام).

١-٦: دمث إخلاقة وعلو شمائله

لقد إتصف ابن عاشور بشمائل رفيعة، واخلاق حسنة، وقد ورد في مدح نسبه وإخلاقه وعمله على لسان معاصريه وتلامذته، والمهتمين بتفسيره شيءٌ كثير. وقد قال عنه الشيخ محمد الخضر حسين (مجلة المجمع العلمي١٩٢٥م، صفحة٤٥)، (ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه، وسمات آدابه بأقل من اعجابي بعبقريته في العلم).

وينقل في شجاعته، أنّ له موقف مشهور، هو رفضه طلب إصدار فتوى تبيح الفطر في شهر رمضان، وكان ذلك في عام ١٩٦١م، عندما دعى الرئيس التونسي الأسبق (الحبيب برقيبة)، العمال الى جواز الإفطار في شهر رمضان؛ بحجة زيادة الانتاج، وطلب من الشيخ ابن عاشور اصدار فتويعلنها في الاذاعة، وقد صرح الشيخ في الإذاعة بحكم الله لا بما يريده بورقيبة، بعد أنّ قرأ آية الصيام، وقال بعد الاية (صدق الله وكذب بورقيبة)، ففشل هذا التجاسر، وخمد هذا التطاول والدعوى الباطلة (شوقي د:ت، جزء٨ صفحة٢٧٨).

٢: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

٢-١: سمات تفسير التحرير والتنوير

يُعد تفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير) من أفضل كتبه وأجلها وأوسعها وأكثرها فائدة وأحبها إلى قلبه؛ لتعلقه بتفسير كلام الله **(سبحانه وتعالى)** الذي أمضى في تأليفه أربعين عاماً،

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٥ المجلد ١٥/ العدد ٣

ضمنه فنون شتى مما إكتسبه في سني تحصيله العلمي فصار من الكتب التفسيرية المعتمدة، فقد أوضح عن أمنيته تفسير كلام الله(**سبحانه وتعالى**) إذ قال: ((فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد، تفسير الكتاب المجيد الجامع لمصالح الدين والدنيا)) (الطالبي١٩٦٨م، جزء٤ صفحة٧٥).

وكتابه التحرير والتنوير قد أسماه بدايةً (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ثّم إختصره باسم (التحرير والتنوير). وكانت مدة تأليفه أربعة عقود.

ولقد إتبع في تفسيره من أوله إلى آخره طريقة في تناول السور والتزم بها، إذ قدم لكل سورة مقدمة تناول فيها إسم السورة، وتبنى كون أسماء السور على عهد رسول الله (ﷺ).

كما إهتم ببيان كون السورة مكية أو مدنية، وذكر في المقدمة، أنّه إعتمد على كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي في تعيين المكي والمدني للسور.

وإمتاز تفسير إبن عاشور ببيان أغراض السورة، وأهم موضوعاتها بشكل مجمل، بعد بيانه لإسم السورة وترتيبها بين السور وعدد آياتها. كما إتسم ببيان وجه المناسبة بين الايات. كما أكثر من الاستشهاد بالشعر العربي الفصيح، مستدلاًبه على ضبط معاني المفردات، وتحقيق التراكيب.

وله فقهاً على المذهب المالكي، فقد إتجه في تفسيره إتجاهاً فقهياً، إذ إهتم في بيان الاحكام الشرعية، والمسائل الفقهية في مواضعها من تفسيره.

وقد ضمنّ في مقدمة تفسيره (مقدمات عشر)، بحث فيها موضوعات هي من علوم القرآن، كعلم التفسير وأسباب النزول والقراءات القرانية والاعجاز القراني، وأغراض وفضائل السور وغيرها، كما أشار إلى المصادر التي أخذ عنها مادته.

٢-٢: منهج إبن عاشور في تفسيره.

لقد أظهر المفسر ابن عاشور عنايةً بالغةً في تفسيره، بإستعمال عدة مناهج وإتجاهات، وإن غلب عليه بعضاً منها، وهذه المناهج هي:

٢-٢-١: **المنهج اللغوي**: فقد إمتاز تفسيره بإستعمال المنهج اللغوي، وغلب على باقي المناهج التفسيرية، ولما عُرف عنه شاعراً أديباً لغوياً مما أضفى على تفسيره وغيره من مؤلفاته إتجاهه هذا، فقد أبدع ببيان النكت البلاغية وأساليب إستعمالها، وبيان أوجه الاعجاز في القرآن المجيد.

٢-٢-٢: منهج التفسير بالمأثور، فقد إهتم بذكر الاحاديث في تفسيره وأكثر منها، وإمتاز إسلوبه في إيراد الحديث دون الإشارة إلى مصدره تارةً، وبذكره مع مصدره تارةً أخرى، مع ذكر صحة الحديث ودرجته.

٢-٢-٣: **منهج التفسير بالرأي**: يرى ابن عاشور أنّ التفسير بالرأي وهو ما إعتمد فيه المفسر في بيان مراد النص القرآني على إستنباطه بالرأي المجرد وفهمه الخاص مما لا شاهد عليه، من

نص أو قواعد أساسية أو أدوات، التي لا يستغني عنها المفسر، وهذا المنهج باطل وأسرع إلى الزلل، وأقرب إلى الشطط، في كتاب الله العظيم. وقد أعتمد التفسير بالرأي الممدوح.

٢-٢-٤: **المنهج العقلي**، ويعني أنّ المفسر يستعمل القرائن العقلية ويعدها أداة تفسيرية في فهم النص بألفاظه وتراكيبه وجمله. والمنهج العقلي واضحاً في تفسير أبن عاشور متبعاً أثر كبار العلماء الذين أخذ عنهم، فأن غالبهم ينهجون منهج المدرسة العقلية في التفسير، أمثال الشيخ محمد عبدة، ومن قبلهم رواد هذا المنهج أمثال الزمخشري في الكشاف والرازي في مفاتيح الغيب (التحرير والتنوير، جزء١ صفحة٥).

٢-٢-٥: **المنهج الاجتماعي**، لقد إهتم ابن عاشور في تفسيره بألاسس التربوية وأصولها، وله آراء في التربية الاجتماعية، وضمّنّ تفسيره نظريات تربوية عدة، كيف وقد باشر التعليم والتربية في جامع الزيتونة سنيين متمادية من عمره، ويشهد له في هذا الباب كتابه (أليس الصبح بقريب).

٢-٢-٦: المنهج العلمي، تعرض ابن عاشور في التحرير والتنوير للآيات التي تذكر إلى الظواهر الفلكية والطبيعية، كالسماء والأرض والسحاب والمطر، وعن خصائص النبات ومراحل تكون الانسان في الاجنة وما بعدها، وطبيعة الأرض وما يستخرج منها. كما إعتنى بشرح وبيان عالم الحيوان في القرآن، فنراه يذكر تعريفها وخصائصها وفصائلها وطبائعها، ومواطنها وانواعها وسلوكها، كما تناول علم الاجتماع وعلم النفس ونظرياتهما.

٣: منهج ابن عاشور في نقد الأديان

لم يكن الشيخ إبن عاشور في نقاشة لآراء ومعتقدات الأدّيان بالسباب والطعّان، وغيرها من الأساليب التي يلجأ اليها كثيرٌ من النقاد والمحاورين، بل أتصف بالهدوء والالتزام بشروط وآداب المحاورة والنقد، كما كان متحرراً من التعصب لدينه وعقائده، وموضوعياً في نقاشه من دون أن يتأثر بالغير في أسلوب محاوراته ومناقشاته الأديان، معتمداً في الأساس على المسلمات العقلية، التي لايختلف عليها العقلاء، مقدماً لها على الاعتقادات.

وحقيقة يُعد ابن عاشور موضوعياً دقيقاً في طرحه، رصيناً في آرائه، بارعاً في نقده بما توفر لديه من ادلة، وبما أتصف به من سعة اطلاع على العهدين، ودقة في عرض الآية القرآنية المقارنة الواردة في تلك المسألة وذلك الموضوع . بعيداً عن الانفعال والتأثر العاطفي في حواراته ومناقشاته.

ولقد إعتمد الشيخ ابن عاشور في نقد الأديان اساساً المنهج العقلي والمنهج المقارن، فهو وان لم يخصص مؤلفاً في نقده الأديان إلاّ أنّ موسوعته التفسيرية (التحرير والتنوير) قد تعرض

فيها عند شرحه ألآيات التي تنقد وتذم الأديان المحرفة، ولم يزد عادة على نقد القرآن لهم، غاية الامر أنه يوضح مفردات الآية، مع شرح توضيحي للمعنى الإجمالي. إلاّ أنّا باستقراء الآيات في التحرير والتنوير إستطعنا من تحديد نقده الأديان، وخاصة اليهود والنصارى. ولقد استعمل مناهج عدة في نقده للاديان.

ففي المنهج المقارن، عمد إلى مقارنة نصوص العهدين مع نصوص الوحي القرآني مبيّناً عقائدهم بذكر الشواهد سواء ما ذكر في العهدين أم التي يعتقدون بها في سلوكيات أتباع أديانهم، وبالخصوص القصص والأمور التي يشترك فيها القرآن الكريم مع العهدين، فالتوراة والانجيل المتداولتان مليئتان بالخرافة والاساطير في وصف الله وانبياءه وملائكته وصفاً يصل إلى حدّ الكفر.

وأما المنهج العقلي فقد أكد على التناقضات في كل من العهدين، وهذا يُعد من أفضل أساليب المنهج العقلي في نقد الأديان، وأنّ ذكر التناقض في نصوص كتبهم او سلوكيات أتباعهم تعد أهم مصادر نقد الأديان، وأهم وثيقة علمية بالاحتجاج عليهم وبيان زيفهم، وفساد عقائدهم ويمكن تسمية هذا الاسلوب بإسلوب النقد التاريخي، وان النص فيه يشكل الركن الأصل في الأديان؛ لبيان تشريعاتهم واعتقاداتهم.

٤: شبهات عقائد النصارى ونقد أبن عاشور لهم

٤-١: عقيدة ألوهية عيسى (عليه السلام)

لقد إستدل الطاهر بن عاشور بالمنهج العقلي في إبطال شبهة النصارى بتأليه عيسى المسيح (عليه السلام)، في موضع تفسير قول الله (**سبحانه وتعالى**)،﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّـهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ (آل عمران : ٥٩ – ٦٠). كما بيّن منشأ أوهام المسيحيين، عند وصفه بأنه كلمة اللّه، وأنه ليس ناسوتياً محضاً؛ لأنهم زعموا بألهية المسيح من أجل أنّه خلق بكلمة من اللّه وليس له أب، فقالوا: أنه ابن اللّه، فردّ اللّه زعمهم بأنّ آدم (عليه السلام) أولى بأن يدّعى له ذلك، فإن لم يكن آدم (عليه السلام) إلهاً مع أنّه خلق من دون أبوين، فالمسيح عيسى أولى بالمخلوقية من آدم، وأدم أولى بالالوهية من عيسى وفق مدعاهم. فأنّه خلق من دون أبوين. ومجال التمثيل أنّ كل واحد منهما خلق من غير أب، ويزيد آدم بكونه من دون أم أيضاً، فلذلك احتيج إلى ذكر وجه الشبه بقوله: ﴿**خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ**﴾، أي خلقه دون أب ودون أم بل خلقه بكلمة (كن)؛ فأنّ تكوينه بأمره (كن) أعلى درجة من جعله من تراب، وهو مقدم في الخلق والتكوين. وقوله ﴿**عند اللّه**﴾ أي نسبة عيسى إلى اللّه مثل آدم في كونه خلقاً خارق للمعتاد؛ لأنّ النصارى عدّوا خلقه الخارق العجيب موجباً لأنّ يرقى عند اللّه

برتبة خاصة وهي بنوتّه لله. وقول (كن) تعبير عن تعلق القدرة بتكوينه حياً ذي روح ليعلم السامعون أنّ التكوين ليس بصنع يد، ولا نحت بآلة، ولكنه بإرادة وتعلق قدرة وتسخير الكائنات التي لها أثر في تكوين المراد، حتى تلتئم وتندفع إلى إظهار المكوّن وكلّ ذلك عن توجه الإرادة بالتنجيز، (فبتلك الكلمة كان آدم أيضا كلمة من اللّه ولكنه لم يوصف بذلك لأنّه لم يقع احتياج إلى ذلك لفوات زمانه) (التحرير والتنوير جزء١ صفحة٥).

وفي قوله ﴿**فَيَكُونُ**﴾ قال أبن عاشور: (ولم يقل فكان لإستحضار شكل تكوّنه، ولأنّ المضارع يحمل على هذا المعنى في مثل هذا التعبير، على نحو قوله: ﴿**اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً**﴾ (فاطر : ٩) وحمله على غير هذا هنا لا وجه له) (الرومي١٤٩٧هـ جزء١ صفحة٦٨).

وفي قوله: ﴿**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾ خبر مبتدأه محذوف يقدر ب(هذا). والخطاب في ﴿**فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ وأن خُوطب به النبي الاكرم (ﷺ) إلاّ أنّ المقصود التعريض بغيره، والمعرّض بهم هنا هم النصارى الممترون (الرومي جزء١ صفحة٦).

وقد أهملت ألاناجيل المتداولة التأكيد على عدّ عيسى المسيح (عليه السلام) بأنه عبد الله ورسوله كما صرح القرآن: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِيَ الْكِتَٰبَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ وقد خلت الاناجيل المتعارفة من هذا الخبر لهذا يُعد من التحريف والتبديل في كتابهم المنزل على عيسى(عليه السلام).

يقول الطاهر بن عاشور: إنّ إخفاء هذا الخبر عن الناس، ومنع وصوله إليهم، يدل على أنّ ألاناجيل كتبت في أحوال مضطربة، وأنّ الله علم من بني إسرائيل أنّهم سوف ينزّلون عيسى منزلة الالوهية ويرفعوه مقاماً عليا، لذا ابتدأ في ألآية بوصف العبودية على لسان عيسى المسيح (عليه السلام) (التحرير والتنوير جزء١٦ صفحة٣٣).

ولقد زعم النصارى مرة أخرى بعقيدة إتخاذ الله **(جل جلاله)** عيسى ابن مريم إبناً له مغالاةً به – سبحانه وتعالى عما يقول الكافرون علواً كبيراً؛ لأنّه ولد على غير العادة فأدعوا أنّه إبن الله وهو كذب صريح وافتراء عظيم، وشبهة كبيرة فاسدة.

٤-٢:عقيدة النصارى في التثليث والرد عليها

لاشك أنّ أتباع ألأديان إن حرفوا في دينهم لا يزيدهم إلاّ إنحرافاً عنه، وإبتعدوا كثيراً عن تعاليمه كلما تقدم بهم الزمن، وما من عقيدة بأصولها وفروعها اجتهدوا فيها وحكّم فيها أهلها عقولهم إلاّ ضلوا واختلفوا، وقد برز من إمثال هؤلاء النصارى، فقد وقع بينهم إختلافٌ كثيرٌ، وإفترقوا إلى مذاهب وفرق وطوائف وإقتتلوا بينهم، وسالت دماء كثيرة، وكل منهم يدعي هو الدين الحق،

ويكذب أو يكفر ألاخرين. ومن بين تلك المسائل التي شملها ألاختلاف بين النصارى، عقيدة التثليث مع أنّها بدعة من إبتكارات الرهبان. وتفصيل الشبهة كالاتي:

٤-٣: بيان الشبهة بقلم إبن عاشور

يقول ابن عاشور: وأصلُ التثليث في عقيدة المسيحيين كلهم، إلاّ أنّهم مختلفون في كيفيته، ونشأ من شبهة قدماء نصارى اليونان بأن الله (ثالوث) أي أنّه جوهر واحد، وهذا الجوهر مركب من جمع ثلاثة أقانيم* وعبرّوا عنها بعبارة { آبا – إبنا – روحا قدسا} (التحرير والتنوير، جزء٤ صفحة٣٣٣).

وقد فصل ابن عاشور هذه الاقانيم الثلاثة بحسب إعتقاد نصارى اليونان بقوله:

فالأول: أقنوم الذات القديم (الاب) وهو أصل وجود الموجودات.

وأما الثاني : وهو أقنوم العلم، (الابن) وهو المسؤول عن تدبير القوى العقلية، ويأتي دون الأول رتبةً.

والثالث: أقنوم الروح القدس، وهو صفة الحياة ومنه وجُد عالم المحسوسات، وهو دون أقنوم العلم رتبة (التحرير والتنوير جزء٤ صفحة٣٣٤).

وقد أهمل النصارى بعقيدتهم هذه صفات تقتضيها الإلهية، مثل قدم ألاله وبقائه، كما تركوا صفة الكلام والقدرة والإرادة، ثم أرادوا أن يتأولوا مايقع في الانجيل من صفات الله فسموا أقنوم الذات بالاب، وأقنوم العلم بالابن، وأقنوم الحياة بروح القدس، لأنّ الانجيل اطلق اسم ألاب على الله، واطلق اسم الابن على المسيح رسوله، واطلق روح القدس على ما به كون المسيح في بطن إمه، على أنّهم أرادوا أن ينبهوا على أنّ أقنوم الوجود هو مفيض الاقنومين الاخرين، فراموا ان يدلّوا على عدم تأخر بعض الصفات عن بعض، فعبّروا بألاب والابن، كما سموا أقنوم العلم بالكلمة؛ لأنّ من عبارات ألانجيل إطلاق الكلمة على المسيح، فأرادوا أنّ المسيح مظهر علم الله، أي أنّه يعلم ماعلمه الله ويبلغه، وهو معنى الرسالة إذ كان العلم يوم تدوين ألاناجيل مكلاً بالالفاظ الاصطلاحية للحكمة الإلهية الرومية، فلما إشتبهت عليهم المعاني، أخذوا بالظواهر فأعتقدوا بأن الارباب ثلاثة، وهذا اصل النصرانية، وقاربوا بها عقيدة الشرك ثم جرهم الغلوا لتقديس المسيح، فتوهموا أنّ علم الله إتّحد بالمسيح، فقالوا: أنّ المسيح صار ناسوته لاهوتاً، باتحاد أقنوم العلم به، فالمسيح جوهران وأقنوم واحد، ثم نشأت فيهم عقيدة الحلول، أي حلول الله ( ) في المسيح بعبارات متنوعة، ثم إعتقدوا إتحاد الله بالمسيح فقالوا: الله هو عيسى المسيح، فهذا اصل التثليث عندهم، وعنه تفرعت مذاهب ثلاثة، أشار الى جميعها قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ** ﴾ (النساء : ١٧١) (التحرير والتنوير جزء٤ صفحة٣٣٤). قال إبن

عاشور عند تفسير الاية: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**﴾(المائدة : ١١٦). ((وكانوا يقولون في عيسى لاهوتية من جهة الاب، وناسوتية من جهة الام)) (التحرير والتنوير جزء٤ صفحة٣٣٤).

٤-٤: عقيدة النصارى في أحوال عيسى (عليه السلام)

في مسائل:

٤-٤-١: شبهة اعتقادهم في تصور الله الانسان في الارحام ومنهم عيسى(عليه السلام)

وقد أجاد إبن عاشور في بيان إعتقاد النصارى في خلق الله ( ) الانسان ومنه عيسى(عليه السلام)، وقد ردّ إبن عاشور هذه الشبهة ببرهان عقلي جلي مفاده أنّ من كان هذا حاله يخلقه الله في ارحام الأمهات ويصوره كيف يشاء، فمن كان هذا حاله كيف يكون إلهاً ؟ وقد جاء ردّه هذا في معرض تفسير قوله تعالى ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (آل عمران : ٦) فقد أخبر الله ( )عن تصويره في الارحام، وقد إشتق لفظ الصورة من صاره إلى كذا أي أماله، فالصورة مائلة الى هيئة وشبه، كما أن أرحام الأمهات من الرحمة، فأصل الرحم من الرحمة، والآية المباركة كما أنّها تعظيم لله **(سبحانه وتعالى)** فهي تتضمن الردّ على النصارى بأن عيسى (عليه السلام) لايستثنى من كون الانسان من المصورين بفتح الواو (التحرير والتنوير جزء٤ صفحة٣٣٥).

وقد توهم النصارى أن تخلق عيسى من دون أب، دليل على أنّه غيرُ بشر. وجهلوا أنّ التصوير في الارحام وإن اختلفت كيفياته، لكنّه لايخرج عن كونه مخلوقاً، ومن كان هذا حاله كيف يكون إلهاً ؟.

وقد إستدل ابن عاشور بالآية المباركة ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسٰنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ (التين : ٤) الردّ على النصارى الذين يؤلهونه، كيف وهو ممن صوره الله وخلقه في رحم أمه، وإن كان أصل تخلقه على غير العادة (التحرير والتنوير جزء٤ صفحة٣٣٥).

٤-٤-٢: شبهة اعتقاد النصارى بموت عيسى (عليه السلام):

ومع إعتقادهم بموت عيسى فأنهم يؤلهونه، وردّ إبن عاشور هذه الشبهة إذ يقول: لقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه في الآية المباركة ﴿ **اللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ (آل عمران : ٢) اي الحياة الكاملة المستلزمة لصفة حياة الذات، والقيومية وهي بمعنى قيامه بنفسه، واستغنائه عن جميع المخلوقات، وان جميع الموجودات قائمة به، فمن لايتصف بهذه الصفات ليس اهلاً للتأليه ولايستحق العبادة، ومن هاتين الصفتين استنبط ابن عاشور مايردّ به على

النصارى الذين ألهوا نبي الله عيسى(عليه السلام). وقال أنّ عيسى في إعتقاد النصارى قد توفىّ ولازمه عدم قيومته، كما انه في حال حياته ليس بقيوم على تدبير العالم، بل أنه أوذيّ في الله، وعذبّ واختفى من اعدائه (التحرير والتنوير جزء٣ صفحة١٣)، قال: وفي هذا تناقض عجيب فكيف يُؤله من يطرأ عليه الموت؟ وكيف يكون إله من لم يكن قائماً بنفسه ولايستطيع ان يدفع عنها بلاء ولايتمكن من ان يدفع عنها ضراً ولايجلب لها نفعاً ؟ وكيف يقهر الموت والفناء على زعمهم ؟ فمن كان هذا حاله لا شك أنّه لا يستحق التأليه وليس اهلاً للعبادة (التحرير والتنوير جزء٣ صفحة١٤).

٤-٤-٣: شبهة النصارى بالغلو في المسيح لأنه خلق على غير العادة:

إنّ الله **(سبحانه وتعالى)** اذا أراد شيئاً لا يعجزه شيء، وإن قضى امراً فلا رادّ لقضائه، فلايجزه شيء في الأرض ولافي السماء، ولاحد لقدرته، ولامكان لعجزه، واذا أراد شيئاً ان يقول له (كن) فيكون، وقد إستدل الطاهر بن عاشور بالآية المباركة ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَٰئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾ (آل عمران : ٤٥) على إنحراف النصارى وغلوهم بألوهية عيسى، وأنّه مخلوق كباقي البشر الذين جاءوا عن طريق آبائهم بكلمة من الله ﴿**كُن فَيَكُونُ**﴾.

يقول ابن عاشور ((والكلمة مراد بها كلمة التكوين وهي تعلق قدرته تعالى بتنجيز ما أراده الله، ووصف عيسى بكلمة، والمراد كلمة خاصة أي مخالفة للمعتاد في تكوين الجنين، أي من دون الأسباب المتعارفة المعتادة. وكلمة(منه) أي من دون واسطة أسباب النسل المعتادة، وقد دلّ عليه قوله تعالى﴿ **إذا قضى امراً فأنما يقول له كن فيكون**﴾)))التحرير والتنوير جزء٣ صفحة١٤).

ويرى الباحث أنّ ماذكره إبن عاشور هو المشهور بين المفسرين. وقد ذكر معنىً آخر هو أنّه سمي كلمة؛ لأنّ الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله تعالى. ومن خلال تفسير ابن عاشور لمفردات الآية المباركة اثبت بطلان النصارى لزعمهم بأتخاذ عيسى إلهاً.

٤-٤-٤: بيان معنى خلق عيسى(عليه السلام) للاشياء:

إنّ الله **(سبحانه وتعالى)** حين أرسل رسله إلى أممهم وأقوامهم لتوحيد الله تعالى ونبذ الشرك، ولمقتضيات نجاح دعواهم، وتلقي الناس لها بالقبول، وخاصة أنّ أشدّ مايقف بوجه المصلحين هو تبليغهم الأمور الغيبية، ويُعد عائقاً أمامهم، وقد أيدّ الله تعالى الأنبياء والمرسلين بمعجزات كي يعلم الناس صدقهم، وكان كل إمة من ألامم قد تفوقت واشتهرت بمجال من المجالات كحرفة

او صنعة او مهنة، فكان اليهود في زمن النبي موسى(عليه السلام) مشتهرين بصنعة الشعوذة والسحر، وكانت معاجزه(عليه السلام) كالحية والعصا واليد البيضاء، تشابه وتضاهي ماجاءوا به من سحر.

وأمّا العرب المشركين في زمن دعوى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فكانوا مشتهرين بالبلاغة والفصاحة، فجاء بصنعة تضاهي ما إشتهر عندهم من فصاحة وبلاغة.

وامّا بنو إسرائيل في زمن عيسى(عليه السلام) فأنهم متفوقون ومشتهرون في مجال التطبيب وعلاج المرضى، فمدّ الله تعالى نبيه عيسى(عليه السلام) بمعجزات تضاهي ماشتهر عندهم من تفوق في هذا المجال فكان يبرئ الاكمة والابرص ويحيي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير؛ لذلك غالوا في عيسى فألهوه. وقد ساح فينا الطاهر بن عاشور في بيان مفردات الوحي في قول الله ﴿ **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّـهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّـهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران : ٤٩)، إذ يقول ومعنى قوله ﴿**جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ**﴾ للأخبار بأنه رسول من قبل الله تعالى. وفي معنى ﴿**أَخْلُقُ**﴾ قال: الخلق مستعمل في حقيقته أي: أقدر لكم من الطين كهيئة الطير، وليس المراد به خلق الحيوان، وفي معنى ﴿ **بِإِذْنِ اللَّـهِ**﴾ لأظهار العبودية، وقطع توهم مشاركة عيسى (عليه السلام) في خلق الموجودات (التحرير والتنوير جزء٣ صفحة١٥). وقال: ((لا يدل ذلك على ان عيسى مستحق الألوهية لا من قريب ولا من بعيد، وإنّ ماصدر منه من معاجز إنّما هي آيات تدعوا إلى الايمان به كبشر مخلوق عبد لله ( )، وإنّ هذه الآيات هي بتأييد الله ( )، فأنّ قوله﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ لتأكيد هذا المعنى)) (التحرير والتنوير جزء٣ صفحة١٠٢).

وذكرُ القرآن معاجز عيسى(عليه السلام) وذلك لبيان شبهات النصارى الذين جعلوا منها حجة على ألوهية عيسى(عليه السلام)؛ لعلة أنّ هذه الأشياء لا يقدر عليها بشر، وإنّما هي من قدرات الإله، كما ذكر إبن عاشور أنّ هذه الأمور إحتج بها نصارى نجران بحضرة النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) (التحرير والتنوير جزء٣ صفحة١٠٢).

٤-٤-٥: شبهة إدعاء النصارى بأنّ عيسى أمرهم بعبادته والرد عليها

فقد جاء في الذكر الحكيم بيان الشبهة والرد على الشبهة في قوله **تعالى** ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّـهُ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّـهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ (آل عمران : ٧٩) ينفي القرآن الكريم أن يتجرأ أحدُ الأنبياء بدعوة الناس إلى عبادته، ولكن يدعونهم لعبادة الله وحده ونفي الشريك عنه،

وبهذا يخبر القرآن الكريم بكذب النصارى بأدعائهم بأن عيسى(عليه السلام) أمرهم بعبادته، وأن يتخذوه إلهاً.

يقول ابن عاشور في معنى﴿ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قيد قصد منه تشنيع قولهم بعبادة عيسى(عليه السلام) وشبهة عبادته يقتضي أنّهم إنسلخوا عن عبودية الله عزوجل الى عبودية البشر؛ لإنّ حقيقة ألإلهية لا تقبل التجزئة لمعبودين، فأنّ النصارى لما جعلوا عيسى رباً لهم، وجعلوه ابناً لله، قد ألزمهم أنّهم إنخلعوا عن عبودية الله. ولازم كلامهم أنّ عيسى أمرهم بأن يكونوا عباداً له من دون الله، وعلى هذا كيف يستقيم كلام من يقول للناس كونوا عباداً لي وبين أمره لهم بأن يكونوا ربانيين ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ أي كونوا منسوبين للرب تبارك وتعالى، وأن تكونوا مخلصين لهُ دون غيره (التحرير والتنوير جزء٣ صفحة١٠٢).

وقد أخبر القرآن الكريم في آية أخرى بأن عيسى أجل وأعظم من ان يدعوا الى عبادته كما ان الأناجيل تخبر بأن عيسى (ع) عبداً لله. قال عز من قال: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء : ١٧٢) يقول ابن عاشور: ونفي استنكاف عيسى إمّا إخبار عن إعترافه بأنه عبداً لله، وإمّا احتجاج على النصارى بما يوجد في أناجيلهم، وفي الانجيل نصوصٌ كثيرةٌ تصرح بأنّ المسيح عبداً لله، وأنّ الله إلهه وربه، كما في مجادلته مع إبليس فقد قال عيسى المسيح : ((للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد)) (التحرير والتنوير جزء٣ صفحة١٤٧).

٤-٤-٦: شبهة إدعائهم بأنهّم أبناء الله والرد عليها.

إدعى أهل الكتاب زوراً وبهتاناً واستعلاءً بأنهم أبناءُ الله وأحباؤه وأنّهم المميزّون عند الله بالفضل عن بقية الناس، فردّ الله إدعائهم الكاذب وبهتانهم الفاضح في قوله سبحانه ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة : ١٨)، والمعنى: فلو أنّكم أبناءُ الله وأحباؤه وأنّكم صادقون فلم يعذبكم بما أقترفتم من المعاصي والذنوب؟ ولم يؤاخذكم على اعمالكم السيئة ؟ سبحانه وتعالى كما يقولون علواً كبيراً.

قال الطاهر بن عاشور ((أدعائكم مناقض لمقالاتهم الأخرى، وقد وضع في التوراة التعبير بأبناء الله، ففي سفر التثنية أول الفصل الرابع قول موسى «أنتم أولاد الرب ابيكم». وأما الانجيل فهي مملوءه بوصف الله سبحانه بأبي المسيح، وبأبي المؤمنين به، وتسمية المؤمنين أبناء الله، ففي (متى) في الاصحاح الثالث جاء « وصوت من السماء قائلاً هذا إبني الحبيب الذي به سررت» وفي الإصحاح الخامس«طوبى لصانعي السلام لأنّهم أبناء اللّه يدعون». وفي الإصحاح

السادس« وأبوكم السماوي يقوتها». وفي الإصحاح العاشر« لأن لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الّذي يتكلّم فيكم»)) (التحرير والتنوير جزء٣ صفحة١٤٧).

أقول لقد تعرضنا للتحريف في كتب العهدين، وبيان القرآن ونقده لها، ولاشك أنّ هذه المصطلحات لا وجود لها في العهدين المنزلين، وإنّما هي من تحريفاتهم وإضافاتهم وكذبهم بعد موسى وبعد عيسى (عليهما السلام).

يقول إبن عاشور في الردّ على إدعاء أهل الكتاب بأنّ ألفاظ القرآن: جائية على ضرب من التشبيه، فتوهمها أحبارهم ورهبانهم، فإعتقدوا ظاهر الالفاظ، وأما عطف ﴿**وَأَحِبَّـٰٓؤُهُ**﴾ على أبناء الله والمقصود أنّهم أبناء محبوبون إذ قد يكون الابن مغضوباً عليه السلام) (التحرير والتنوير جزء٥ صفحة٧٢).

٤-٥: زعمهم أن الهدى في النصرانية ورد إبن عاشور

لقد ذكر القرآن الكريم شبهة النصارى في حصر الهدى فيهم، كما هو زعم اليهود ايضاً، وإن من أراد الهدى فليتبع ملتهم، فرد الله عليهم بأن الهدى في اتباع ملة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) الذي لم يكن من المشركين قبل أهل الكتاب وغيرهم، بل هو حنيفاً أي مائلاً الى الإسلام وهو دين الواحد دين الأنبياء جميعاً، وقد شمر ابن عاشور عن ساعده للتصدي لهذه الشبهة ودحضها. ففي بيانه لقول الله: ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (البقرة : ١٣٥) يقول: بعد أن أعرض أهل الكتاب عن تلقي الإسلام ورفضوا قبول القرآن، كما في الآية السابقة: ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَٰهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى الْءَاخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ**﴾ والتي عطف عليها آية موضوع البحث، وبعد ان ذمهم بالاعراض عن تقبل دعوة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) والذي هو دين الحنيفية، ليبين هنا مقدار غرورهم، بأنّهم حصروا الهدى في اليهودية بالنسبة الى اليهود، وبالنصرانية بالنسبة للنصارى أي أنّ كل طائفة منهم حصرت الهدى في دينه، فمن لم يكن يهودياً فأنّه يحكم عليه عند اليهود بعدم الاهتداء، ومن لم يكن نصرانياً يحكم عليه النصارى بعدم الاهتداء، وقد أجابهم الباري ( ) بتوسط النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) تشريفاً له بكلمة (قل) أي لا اهتداء إلاّ بإتباع الحنيفية السمحة، فأن الإسلام لما جاء بملة الحنيفية نسخ ماكان قبله من الشرائع، وأبطل ما سبقه وما هو آت من أديان مدعاة. فقول الله ﴿ **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ ((حال من إبراهيم لئلا يتوهم المشركون إغتراراً بعد أن لايكونوا هوداً ولانصارى، فلم يبقى من الأديان ألاّ هم فينطبق الحنيفية عليهم، وليس هذه العبارة من المدح لإبراهيم بعد ذكر فضائله)) (التحرير والتنوير جزء٥ صفحة٧٢).

وقد بيّن في إنحراف عقائد اليهود كيف أنهم حصروا الاهتداء باليهودية، ولايخفى أن أبراهيم لم يكن يهودياً ولانصرانياً وهم بهذا نفوا عنه الاهتداء به وبمن اتبعه.

قال ((وأمّا النّصارى فلم أر في الأناجيل ذكراً لعذاب الآخرة إلّا أنّهم قائلون في عقائدهم بأنّ بني آدم كلّهم استحقّوا العذاب الأخروي بخطيئة أبيهم آدم، فجاء عيسى ابن مريم مخلّصاً وشافعاً وعرّض نفسه للصلب ليكفّر عن البشر خطيئتهم الموروثة، وهذا يلزمهم الاعتراف بأنّ العذاب كان مكتوباً على الجميع لولا كفّارة عيسى فحصل الرّدّ عليهم باعتقادهم به) (التحرير والتنوير جزء٥ صفحة٧٢).

النتائج

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا العظيم وآله الطيبين الطاهرين.

إنّ إستقرائي لمادة البحث، وتتبعي لنصوص القرآن الخاصة بالنصرانية في تفسير التحرير والتنوير تبين لي أنّ هذا السفر كتابٌ موسوعيٌ مهمٌ في مجال التفسير لتنوع موضوعاته ودقتها، وحقاً يُعد دائرة معارف كبرى لما حواه من علوم ومعارف يستفيد منها من رام العلم والتعلم للمبتدأ، ومن طوى مراحل الدراسة. كما أن شخصية مؤلفه محمد الطاهر بن عاشور شخصية فريدة في زمانه وبلاده؛ لما يتصف به من الجد والمثابرة والابداع والتفاني في خدمة الشريعة، ولإصلاح العملية التعليمية، والعمل السياسي والجهادي؛ لتحرير بلاده من براثن الاستعمار الغاصب. كما نجد نفس المؤلف في تفسيره من أوله الى ختامه على همة ونسق واحد من غير فتور حتى في الآيات التي تكررت وقد سبق تفسيره لها.

ولقد إختار المؤلف في تفسيره منهجاً يحتوي على مزايا عدة، تضمن علوم كثيرة وفوائد غزيرة، ومعلومات دقيقة، فقد بذل فيه الوسع والجهد ما يتجلى للقارئ والباحث حين قراءته لهذا السفر، فقد إستنفر فيه قواه العقلية والعلمية وخبراته التربوية ومنهجة الإصلاحي.

ومن خلال تتبعي لردود الطاهر بن عاشور لشبهات ومزاعم النصارى، وجدته واسع الاطلاع على كتب العهدين، وكثير ما يستخدم نصوص من التوراة والانجيل، يستدل بها على كذبهم وتحريفهم وتزيفهم، كما يستدل بها على تناقضهم فيما يعتقدون به ويرّوجون له أوما ذُكر في كتبهم الرائجة، وتراه مرة أخرى يقارن بين عقائدهم سواء التي جاءت في العهدين المتداولين المحرفين وبين أخبار القرآن الكريم في بيان عقائدهم وكذبهم . فلإبن عاشور خبرة وذكاء في استنباط الرد على شبهات اهل الكتاب من خلال إستحضاره للآيات القرآنية الكريمة، ومن خلال عمق تفكيره وما أفاض الله عليه من قوة التحليل وسعة الفهم. فبحق نستطيع أن نحدد المنهج

الذي برع فيه في الرد على أهل الأديان وهو المنهج العقلي في نقد اليهودية والنصرانية، كما استعمل بنسبة ما المنهج المقارن بين ماهو موجود في كتبهم الرائجة المتداولة وبين نصوص الوحي القرآن.

وفي نهاية المطاف أوصى الباحثين بأختيار موضوع لبحوثهم من خلال هذا السفر، ففيه كثير من الموضوعات جديرة بالبحث والتحقيق لما اودع فيه من العلوم والفنون والمعارف الكثير.

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نبتدأ به: القرآن الكريم

١- إبن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢١هـ .

٢- ابن عاشور محمد الطاهر، إصول النظام الاجتماعي في الاسلام، الشركة التونسية للنشر، ط١، ١٩٧٤.

٣- إبن الخوجة، محمد الحبيب، مجلة الهداية الاسلامية، تونس ١٩٧٤م.

٤- احمد بن عامر، تونس عبر التاريخ، ، نشر وتوزيع الهادي عبد الغني، تونس، ١٩٦٠م.

٥- الزركلي، خير الدين بن محمود (٢٠٠٢م) الاعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ط١٤).

٦- الطالبي عمار: إبن باديس حياته وآثاره، دار اليقضة، بيروت، ١٩٦٨م.

٧- مجلة دعوى الحق، مجلة شهرية تعني بالدراسات الاسلامية، أسسها الملك محمد الخامس سنة ١٩٥٧سنة ١٩٨٣م.

٨- سعيد مطلك، ابن عاشور ومنهجه في التفسير(رسالة ماجستير، من جامعة بغداد، كلية الشريعة، سنة١٩٨٦م).

٩- العلي، هيا ثامر، الطاهر إبن عاشور ومنهجه في تفسير التحرير والتنوير(الدوحة، دارالثقافة، (د:ط)،١٩٩٤).

١٠- الفاضل، محمد ابن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م.

١١- الرومي فهد، منهج المدرسة العقلية في التفسير (بيروت، مؤسسة الرسالة، طبعة الثالثة، سنة١٤٩٧هـ).

١٢- شوقي ضيف: مجلة مجمع اللغة العربية، مجلة فصلية، مطبعة وزارة التربية والتعليم، القاهرة.

List of sources and references

The best place to start: The Holy Quran

1.Ibn Ashour Muhammad al-Tahir, Al-Tahrir wa al-Tanwir, Arab History Foundation, Lebanon, Beirut, first edition, 1421 AH.

2.Ibn Ashour Muhammad al-Tahir, The Principles of the Social System in Islam, Tunisian Publishing Company, 1st ed., 1974.

3.Ibn al-Khuja, Muhammad al-Habib, Al-Hidaya al-Islamiya Magazine, Tunis 1974.

4.Ahmad bin Amer, Tunisia Throughout History, published and distributed by Al-Hadi Abdul-Ghani, Tunis, 1960.

5.Al-Zarkali, Khair al-Din bin Mahmoud (2002) Al-Alam, (Beirut, Dar al-Ilm lil-Malayin, 14th ed.).

6.Al-Talibi Ammar: Ibn Badis, His Life and Works, Dar al-Yaqza, Beirut, 1968.

7.Da'wat al-Haqq Magazine, a monthly magazine concerned with Islamic studies, founded by King Mohammed V in 1957-1983.

8.Saeed Mutlaq, Ibn Ashour and his approach to interpretation (Master's thesis, University of Baghdad, College of Sharia, 1986.)

9.Al-Ali, Haya Thamer, Al-Taher Ibn Ashour and his approach to interpreting Al-Tahrir and Al-Tanwir (Doha, Dar Al-Thaqafa, (n: print), 1994.)

10.Al-Fadhel, Muhammad Ibn Ashour, The Literary and Intellectual Movement in Tunisia, Tunisian House of Publishing, 1972.

11.Al-Rumi Fahd, The Approach of the Rational School in Interpretation (Beirut, Al-Risalah Foundation, third edition, 1497 AH)

12.Shawqi Dayf: Journal of the Arabic Language Academy, a quarterly magazine, Ministry of Education Press, Cairo.